المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الخامس والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٦ جمادي الاولى سنة ١٣١٨

ملك ايطاليا

قد يُظن لاول وهلة ان رجال العلم لا يفرقون بين الملوك وغيرهم من عامّة الناس . وهذا صحيح اذا نظروا اليهم من حيث بناء اجسامهم وصحة ابدانهم ومضاء عقولهم ولكنهُ غير صحيح اذا نظروا اليهم من حيث مقامهم في المجتمع الانساني ومقدرتهم على النفع والضر فهم من هذا

القبيل تمثلون قوةً عظيمة من اعظم قوى المجتمع الانساني . ولذلك تنشر المجلات العلمية والادبية سيَر الملوك والوزراء اذا كان لهم شأن في ترقية بلادهم كما تذكر سير العلماء والفضلاء

وقد حدث في اواخر الشهر الماضي حادث عظيم ارتجت له النوادي السياسية والادبية واهتمَّ به علماء الاخلاق والباحثون في مصير المجتمع الانساني وهو اعتداء رجل خامل الذكر على ملك عظيم الشان لا لذنب جناهُ هذا الملك على ذلك الرجل او على احد من خاصته او على احد من الناس ولا لان ذلك الرجل مصاب بدخل في عقله او انه فعل ما فعل خطأً عن غير عمد كلاَّ بل هو في تمام العقل وقد فعل ما فعل عن قصد وروية وغرضهُ وغرض رفاقهِ الفوضويين التنكيل بالملوك كأنهم يحسبون انهُ اذا قُتِل الملوك زالت ادواء الاجتماع الانساني وبطل الفقر وقلَّ الكرب الى غير ذلك من المزاعم الفاسدة

وقد جمعنا السطور التالية مما كُتب في سيرة هذا الملك و يظهر منها انهُ كان من خيرة الملوك ومن خيرة الناس اجمع ولذلك فاغتيال الفوضويين لهُ دليل على فساد قواعدهم

لما توفي الملك فكتور عمانوئيل ملك ايطاليا شعرت الامة الايطالية بفقد عزيز احياها ورفع مقامها بين الممالك الاوربية ولكنها علمت وعلمت اوربا كلها ان العبء الذي القاهُ على عاتق ابنهِ ثقيل لان تنظيم الممالك وترتيج قدمها في العمران اعسر من فتحها وجمع شملها . وكان عليهِ ايضاً ان يقتدي بابيهِ ويحافظ بالمقام الرفيع الذي اوجدهُ في قلوب شعبهِ ولذلك قال في المنشور الاول الذي نشرهُ على الايطاليين ان غاية ما يتمناهُ هو ان يستحق محبة شعبهِ . واجتمع كثيرون منهم تحت قصرهِ ونادوا بهِ ملكاً فلما اشرف عليهم ضمَّ ابنهُ الى صدرهِ وقال لهُ اني اقسم لك باني ساعيش عيشة تجعل الشعب الايطالي ينادي بك ملكاً حال موقي على هذا الاسلوب من الولاء . فكان كما قال

وُلد امبرتو الاول ملك ايطاليا في مدينة تورين في ١٤ مارس سنة ١٨٤٤ في مثل اليوم الذي وُلد فيهِ ابوهُ . وامهُ ماري ادليدا ابنة ارتشديوك رانياري والي لمبرديا والبندقية وكانت من فضليات النساء واشدهن رأياً لاولادهن واهتماماً بتهذيبهم وتعليمهم وجرت في تربية اولادها مجرى بيت ساثوى الذين يربُّون اولادهم تربية النشاط والقوة ليكونوا من الابطال المعدودين حتى جرى المثل " ان ساثوى والخوف لا يجتمعان "

وتوفيت هذه الام الفاضلة وعمر امبرتو احدى عشرة سنة وتركت اولادها لعناية والدهم الملك فكتور عمانوئيل . وكانت مشاكل البلاد ومشاغلها كثيرة فلم يكن لهم بدٌّ من مراقبتها والتشوُّف الى الوقت الذي يصيرون فيهِ قادرين على مساعدة ابيهم في تحرير بلادهِ . ولما كان

عمر امبرتو ١٥ سنة ركب مع ابيهِ وخرج للحرب في احدى المعارك التي كان لها الشأن الاكبر في مستقبل ايطاليا . ثم أُرسل في مهام اخرى فاعرب عن همَّة وحصافة رأي يندر وجودهما في مَن كان من سنهِ

وسنة ١٨٦٦ وقع القتال بين الايطاليين والنمسويين وكانت القيادة للبرنس امبرتو ومن ثم صار يخرج للحرب كلما دعت الحال . ومن اعمالهِ التي تدلّ على شهامتهِ وعزة نفسهِ تنازلهُ للحكومة عن راتبهِ اذ رأى البلاد مثقلة الكاهل بنفقات الحروب . وكان باسلاً يعترض الموت اذا اعترضهُ ومما يؤثر عنهُ أنهُ وبَّخ احد قوَّادهِ حين اسرع هذا لانقاذهِ فانهُ التفت اليهِ وقال لن اغفر لك اسراعك لانجادي

وفي الرابعة والعشرين من عمرهِ دعا ابوهُ وزيرهُ وطلب اليهِ ان ينتقي لابنهِ زوجةً اميرة فاضلة وان يسرع في عملهِ اذ لم يرق في عينيهِ بقاء ولي عهدهِ عزباً واخوهُ الاصغر متزوج فارتأى الوزير ان تكون العروس البرنسس مرغريتا ابنة دوق جنوى وهو عمّ الامير وكانت هذه الاميرة قد ربيت احسن تربية ونشأت على حب الوطن وكانت في الثامنة عشرة من عمرها بيضاء اللون بعينين زرقاوين وقد اشتهرت بالدعة واللطف حتى لُقِّبت ملاك ايطاليا

واطنب الوزير في مدح جمالها واخلاقها حتى طرب الملك ووعد وزيرهُ ان يذهب بنفسهِ لزيارتها ليتأكد صحة الخبَر بالخبَر ولم يلبث ان الحق القول بالفعل فشهد منها ما زاد مقامها في عينيهِ فخطبها لابنهِ واحتفل بزواجهما في تورين سنة ١٨٦٨ احتفالاً ملكيًّا باهرًا شهدهُ جميع اعضاء الاسرة المالكة وكان في من حضر ذلك الاحتفال الامبراطور فردريك ملك بروسيا وهو لا يزال ولي عهد ابيهِ

ولم تكن الامة في ذلك الزمان مجمعة على حب هذا الامير اجماعها على اكرام ابيهِ لاسباب اهمها اشتغالها بحب الوالد وكون الامير لم يكن يحسن التعرف بين الايطاليين على ما يرغبون فكان من طبعهِ الترفُّع لا عن كبرياء بل عن شمم على ان الامة لم تبرح ترى فيهِ سرّ ابيهِ وانهُ امير من بيت سامٍ وانهُ بطل مجرّب كما اتضح بالامتحان وكان الملك شديد الثقة بابنهِ عارفاً ما فيهِ من حسن الصفات والاخلاق . ومن يقف على تاريخ ايطاليا مدة حكمهِ وينظر في اعمالهِ لا يرى في آمال ابيهِ شيئاً من المبالغة فانهُ لم يلبث على العرش طويلاً حتى اجتذب اليهِ قلوب الرعية وملك افئدتهم بما اتصف بهِ من كرم الاخلاق والمروءة والحكمة والتعقل

وبعد العرس جال هو وزوجتهُ في مدن ايطاليا الكبيرة ما عدا رومية وكانت الحفلات تقام في هذه المدن تكريماً لهما وترحيباً بهما ثم عادا الى تورين حيث لبثا ورزقا بعد سنة ونصف

برحيدها ووريث ملكها فسُمّي فكتور عمانوئيل باسم جدهِ. ولما دخلت رومية في حوزة الحكومة الايطالية انتقل الاميران الى قصر الكويرنيال وكان الملك فكتور عمانوئيل يزداد ميلاً الى كنتهِ واعتباراً لها وثقة بها فتمكنت بذلك من تغيير بعض اطوارهِ حتى اذا ما رقي زوجها الى عرش الملك انعقدت قلوب الامة على احترامها ومحبتها بما شهدوهُ من لطفها ورقتها

ولما ملك امبرتو استهلَّ حكمهُ بعمل حميد أكسبهُ احترام الامة وذلك ان اباهُ خلف ديوناً باهظة فرأى مجلس الامة ان توفيها الحكومة اعترافاً بفضلهِ في تحرير ايطاليا لكن الملك ابى المصادقة على قرار المجلس قائلاً ان ديون ابي ديوني وانا المطالَب بايفائها والحال شرع يقتصد في نفقات بلاطهِ وباع بعض خيولهِ وظلَّ كذلك الى ان تمكن من ايفاء الدَّين ومكافأة خدم ابيهِ وحشمهِ

ولم يمضِ سنة على ارتقائهِ الى العرش حتى اراد بهِ احد الاشقياء شرًّا و ذلك انهُ كان هو والملكة ووزيرهُ داخلين الى مدينة نابولي في مركبة مفتوحة واراد الشقيُّ ان يطعن الملك بحربة فابصرهُ الوزير ومال فحمى مولاهُ وجُرح بدلاً منهُ . فأخذ الشبُّ مأخذهُ من الامة واتضح للملأ حينئذٍ ما اكتسبهُ الملك من محبة شعبهِ في مدة حكمهِ هذه القصيرة . ولما حُكم على المجرم بالاعدام عفا عنهُ وابدل الاعدام بالاشغال الشاقة المؤبدة فزادت هذه الشفقة منزلتهُ روعة في عيون شعبهِ

وما انطوى عليهِ من صدق العزيمة والشجاعة هوَّن عليهِ التفاني في خدمة امتهِ حتى كان يستغرب اعجاب شعبهِ بشهامتهِ يوم كان يتفقد المرضى في اقذر الشوارع حين ظهور الكوليرا فقد قال في ذلك "لم اعمل سوى ما هو واجب عليَّ" . ولم تنزل بالبلاد نازلة الاَّ وهو في مقدمة المساعدين بمالهِ وحميتهِ على ان تلك الحمية لم تصلح حالة البلاد "فقد بليت ايطاليا بالفقر لكثرة ما اضطرت اليهِ من الانفاق في سبيل اتحادها ثم رأت من ميل فرنسا عنها ما اضطرها الى عقد التحالف الثلاثي فكان ضغثاً على ابالة من حيث كثرة النفقات الحربية واتت ثالثة الاثافي بالحرب المالية التي اثارتها عليها فرنسا سنة ١٨٨٨ فاتلفت صناعتها وتجارتها . واهمَّ الايطاليون بعد ذلك بالاستيلاء على بلاد الحبشة فلم يفلحوا وفاز الاحباش عليهم فوزاً مبيناً كاد يقوض اركان الملكية . وكان حنق الاكليروس شديداً على ملك ايطاليا وجرائدهم لا تنفك عن ايغار الصدور عليهِ ولاسيما في فرنسا فقاوم هذه المحن كلها بالصبر وخرج منها ظافراً . وطيب سريرتهِ وشهامتهُ اكسباهُ ميل الامة اليهِ فهو العارف باحوالها الخبير بمآسيها المرسل كلامهُ الى قلوبها ينطبع فيها كما بالقلام من حديد وهو الذي كان اذا خطب فيها مسَّ اعماق

القلوب واختلب الالباب لا بفصاحته وحسن انشائه فقد كان بعيداً من ذلك ولكن بصدق لهجته وخلوص طويته وما فطر عليه الايطاليون من الحماسة والحمية

وكان يبرّ بمواعيده اقسم مرة ان لا يدخن ولم يحنث بقسمه . وكان ذلك عملاً بنصيحة اطبائه لما آنسوه فيه من اكثاره التدخين الى حدّ ان خشوا سوء العاقبة . ولم يكن قوي البنية كأبيه فظهرت فيه علامات الشيخوخة باكرًا . ومن اخلاقه انهُ كان ولعاً بالخروج الى خارج المدن والتصعيد في الجبال فكان يأوي الى الخيام ويشارك الفلاحين في طعامهم وشرابهم وكان على شغفه بالالعاب الرياضية والى هذين تعزى جودة صحته في كهولته . وكان من عادته القيام باكرًا لا يميز فيه بين برد الهواء او حرّه ولا يعتدّ بالمطر ولقد كان يفضل ان تبتلّ ثيابهُ من المطر على ان يستظل بمظلة تقيه وكان يقف في الاستعراضات بضع ساعات معرضًا لحر الشمس وهو يهزأ بالذين يطلبون الظل والراحة . وعدم اعتداده بالبرد والحرّ خُلُق من اخلاق أُسرته ودليل آخر على قلة اكتراثه للمخاطر

وكان محبًّا لزوجته يعتمد عليها في الرأي ويستشيرها في امور كثيرة ولهُ معها وقائع يصحّ اتخاذها دلائل على اخلاقه فمن ذلك انها الحّت عليه ان يصبغ شعرهُ وكان قد لعب به المشيب شابًا فلم تلقَ منهُ قبولاً فعمدت الى الحيلة على ما قيل فاتت بمقدار من الخضاب ووضعتهُ في غرفته ومعهُ ورقة فيها تبيان كيفية استعماله وانتظرت ما يكون وكان لما كلب ابيض طويل الشعر وبعد بضعة ايام رأت هذا الكلب مسرعًا الى غرفتها وقد تبدّل بياضهُ بالسواد ولبس من الصبغ حلةً اسكتتها فلم تعُد تفاتحهُ في هذا الموضوع . وسأل مرة احد كتّابها عما يصلح ان يقدم لها على سبيل الهدية في عيد الميلاد فأجابهُ هذا ان جلالتها مديونة كثيرًا للخياطين فطلب ان يؤتى اليه باوراق الحساب فأُتي بها اليه وفي صباح العيد وضع جميع تلك الاوراق على المائدة امام كرسيها مع الوصل باستلام الدراهم من اصحابها ولم يزد عليها هدية واحدة فرأت الاوراق وفطنت لقصده وشرعت تقتصد في نفقاتها على لبسها من ذلك الحين

وحكى ولي العهد الحكاية الآتية قال رأى ابي امي وهي تضع النظارات على عينيها لتستعين بها على قراءة الموسيقى فصاح قائلاً يا مرغريتا ابعديها عنك فاني لا اطيق رؤيتها فلم تصغِ الى قوله فقال اذا لم تطرحيها جانبًا فاني أُغني فاطاعت للحال لكي تتخلص من سماع غنائه لانهُ عادي الصوت لا يحسن ضبط الانغام . ومما يحكى عن الملكة انها سافرت وولي العهد مرة من بالرمو الى نابولي فعصفت الريح وعاج البحر حتى خشي القبطان على من في السفينة فجمع الضباط واستشارهم في الامر وفيما اذا كان الاجدر بهم التقدّم فاجمعوا على العودة الى بالرمو وعرضت المسألة على

مولاتهم فاتوها مستشيرين وكان بيدها ورقة بيضاء فاخذت قلماً وكتبت عليها "Sempre avanti Savoia" ومعناه ان سافوى يجب ان تسير دائماً الى الامام وهي شعار بيت الملك عندهم

وقد حاول الفوضويون الاعتداء على حياة الملك امبرتو مرتين غير هذه الاخيرة كانت الاولى في نابولي كما تقدم والثانية في سنة ١٨٩٧ ولقي في الثالثة حتفهُ وهو لم يتجاوز سبعاً وخمسين سنة من العمر. وقد فصلت الجرائد الايطالية مقتلهُ فقالت انهُ اسرع بعد العشاء في ليلة ٢٩ من شهر يوليو للذهاب الى حفلة الالعاب الرياضية لانهُ كان قد سبق فوعد اصحابها بالحضور حين توزيع الجوائز فحاولت الملكة ان تثنيهُ عن عزمهِ فلم تفلح والى ان يخلف وعدهُ فركب واثنين من قوادهِ في مركبتهِ وتبعهم المندوب الخاص واحد وكلاء البوليس في مركبة اخرى فلما وصل الى مكان الحفلة الفاهُ غاصاً بالحاضرين والطريق مسدوداً والشرفة المعدة لهُ مملوءة بالمتفرجين وبعد العناء الشديد تيسر فتح الطريق واخلاء الشرفة ثم وزعت الجوائز على مستحقيها وحيا الملك الذين نالوها مصافحة جرياً على عادتهِ وبعد ان حدَّث مَن حولهُ نهض يريد الانصراف فهتف الحضور مراراً ليحيّ الملك وتراكضوا جميعاً الى طريقهِ وكان ممكناً قبعتهُ بيدهِ فجعل ينظر باسماً الى مَن حولهُ وتقدم على مهل الى مركبتهِ بين صفوف الناس ثم صعد الى المركبة ووقف حاسر الراس وجعل يحيي الجمهور الذي تألب حولهُ اظهاراً لشكرهِ لهُ وكان رجال البوليس قد حاولوا ابعاد الناس عن مركبتهِ فلم يفلحوا. ثم ادار المندوب الخاص ظهرهُ وسار ووكيل البوليس الى مركبتهِ مزاحماً وعند ذلك تقدم رجل الى الصفوف الامامية ووقف على مسافة متر ونصف من الملك وسدد مسدَّسهُ عليهِ ساكن الجأش واطلق عليهِ اربع رصاصات فجرحتهُ واحدة منها جرحاً بالغاً في الفسحة الرابعة بين الاضلاع واصابت الثانية الترقوة اليسرى واستقرت الثالثة في الفسحة على طول الخط الابطي فاكبَّ على ركبتيهِ ثم استلقى على ظهرهِ وامر سائق المركبة ان يسير مسرعاً فجرت الخيل عدواً الى القصر الملكي. وانقضَّ الجمهور ورجال البوليس على القاتل فقبضوا عليهِ اما الملك فبقي ساكتاً بضع دقائق ثم صعَّد زفرات قليلة وفاضت روحهُ قبل ان يصل الى قصرهِ. ويقول القاتل انهُ ارتكب هذه الجناية لبغضهِ الملوك لا لسبب آخر

وقد شمل الحزن كل من سمع بخبر هذه الفاجعة واشتدَّ حنق الناس على الفوضويين ومبادئهم القبيحة وستكون هذه الجريمة من مقوضات اركانهم ومزقات شمل عصبتهم ومسهِّلات عقاب الملك على ابنهِ فكتور عانوئيل الثالث لانها تكرّه الامة بالجمهوريين المتطرفين وتبعدها عنهم حتى تخمل عصبتهم ويقضي امرهم الى لا شيء